كيف تصنعين عالماً

إن صناعة العلماء الربانيين صناعة عالية القدر تحتاج إليها الأمة الإسلامية ـ هذه الأيام ـ حاجة شديدة. حيث تكاثرت الفتن وتحدَّث الرويبضة(*) في أمر الدين ورزئت الأمة في خير علمائها أمثال الشيخ الشعراوي والغزالي والشيخ ابن باز والشيخ الألباني وأخيراً الشيخ ابن عثيمين رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة. في هذه الأيام تحتاج الأمة لمن يخلف هؤلاء العلماء الأفذاذ الربانيين الذين عمَّروا الدنيا بعلمهم وعبادتهم. ورغبةً في أن أساهم في صناعة الخلف الصالح لهؤلاء العلماء السالفين أضع لكِ يا أختي المسلمة بعض الوسائل التي تساعدك في صناعة العلماء:

«**الوسيلة الأولى**: الدعاء: لأنه سنة الأنبياء وجالب كل خير وقد قال ﷺ: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء**»(١).

(*) الرويبضة: هو الرجل التافه الذي يتحدث في أمور الأمة.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٥٩١) قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٣١) ورجاله رجال الصحيح غير مسروق بن المرزبان وهو ثقة. وانظر الصحيحة للألباني (٦٠١).

وقال ﷺ: «**إذا تمنى أحدكم فليُكثر فإنما يسأل ربه**»[١]. ولقد دعا النبي ﷺ لسيدنا عبد الله بن عباس لما رأى ما يدل على ذكائه فدعا له: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[٢].

وهكذا بلغ حَبْر الأمة ابن عباس مكانته التي نالها بدعوة من رسول الله ﷺ. فعليكِ يا أختاه بالدعاء لأولادك وبناتك أن يرزقهم الله العلم النافع والعمل الصالح ولا تتهيني بالدعاء فمن لنا غير الله: [الطويل]

إذا لم يكن من الله عون للفتى
فأوَّل ما يَجْنِي عليه اجتهاده

وقد حكت لي إحدى الثقات أن إحدى النساء المسلمات سافرت من مصر إلى إحدى البلاد العربية وكان لها جارة تُسمى «عائشة» ولاحظت فيها أنها موفقة في كل شيء وبخاصة تربية أولادها الذين بلغوا ثلاثة عشر وسألتها عن سر هذا التوفيق فقال: «إني أدعو الله لهم بصالح أعمالي» وصدق من قال: [الوافر]

أتهزأ بالدعاء وتزدريه
وما تدري بما صنعَ الدعاءُ

---

(١) أخرجه عبد بن حميد (١٤٩٦ ـ منتخب) والطبراني في الأوسط (٢٠٤٠) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٥٠) ورجاله رجال الصحيح، وابن حبان في موارد الظمآن (٢٤٠٣) وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٦٦) على شرط الشيخين.

(٢) رواه البخاري (١٤٣) ومسلم (٢٤٧٧/ ١٣٨).

سهامُ الليل لا تُخْطِي ولكن
لها أمدٌ وللأمد انقضاءُ

الوسيلة الثانية: غَرسْ حب العلم في نفس الطفل وتعليمه في الصغر.

تعليم الطفل في الصغرِ أهم وسيلة لتعويده طلب العلم وغرس حب العلم في نفسه. قال الأستاذ محمد الصباغ: «سمعت من الأستاذ مالك بن نبيﷺ أن رجلاً جاء يسترشد لتربية ابن له أو بنت وُلِدت حديثاً فسأله كم عمرها؟، قال: شهر، قال: فاتك القطار، وقال: كنت أظن في بادىء الأمر أني مبالغ ثم عندما نظرت وجدت أن ما قلته الحق وذلك أن الولد يبكي فتعطيه أمه الثدي فينطبع في نفسه أن الصراخ هو الوسيلة إلى الوصول إلى ما يريد ويكبر على هذا، فإذا ضربه اليهود بكى في مجلس الأمن يظن أن البكاء والصراخ يوصله إلى حقه»[١].

وقال ابن عباس: «من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبياً»[٢]. وقال عبد الله بن مسعود: «تعلّموا فإن أحدكم لا يدري متى يُخْتَل[*] إليه»[٣].

---

(١) نظرات في الأسرة المسلمة (١٤٦ ـ ١٤٧).

(٢) منهج التربية النبوية ص٢٢٠.

(*) متى يحتاج الناس إلى ما عنده من الخَلَّة بالفتح: الحاجة إليه كما في النهاية (٢/ ٧٣).

(٣) صحيح أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٤١) والدارمي (١/ ٥٧) =

وإلى هذا أشار ابن عباس ﷺ في الحديث الذي رواه الطبراني عنه في الأوسط قال: «ما بَعَثَ اللَّهُ نبيًّا إلاّ وهو شَابٌ، ولا أُوتي عالمٌ عِلْماً إلاّ وهو شاب»[١].

وعن الحسن قال: «طلب الحديث في الصِّغر كالنقش في الحجر»[٢] وأنشد أبو عبد الله نفطويه لنفسه: [الطويل]

أراني أنسى ما تعلمتُ في الكبر
ولست بناسٍ ما تعلمت في الصغر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبي
وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر
ولو فُلِقَ القلبُ المُعَلَّم في الصِّبَى
لألفى فيه العلم كالنقش في الحجر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسّفٌ
إذا كَلَّ قلبُ المرء والسمع والبصر

= وأبو خيثمة في «العلم» (٨). واللفظ عند ابن أبي شيبة (. . يحيل إليه) وعند الدارمي (متى يختلف إليه) وعند ابن أبي شيبة (يختل إليه) وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٥٢) والدارمي (١/ ٥٤) من طريقين عن أيوب. وانظر جامع بيان العلم وفضله (٢٧٨).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: (٦٤٢١) قال الهيثمي في المجمع (١/ ١٢٥) وفيه قابوس بن أبي ظبيان، وثقه يحيى بن معين في رواية وضعفه في أخرى وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به وضعفه أحمد وأورد الألباني في الضعيفة (٥٠٣٩).

(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٩١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٥١) والبيهقي في المدخل (٦٤٠) وإسناده جيد.

وقد رأينا كيف كانت أم الإمام أنس بن مالك تدفعه إلى طلب العلم صغيراً حتى جلس للفتيا وعُمره إحدى وعشرون سنة[١].

ويجب أن تغرس في نفس الطفل حب العلم من الصغر وأنه سبب للفضل والرفعة في الدنيا والآخرة مما رواه أبو إسحاق: كان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عُنُقُه داخلاً في بدنه وكان منكباه خارجين كأنهما زُجَّان[*] فقالت له أمه: يا بني لا تكون في قوم إلا كنت المضحوك منه المسخور به فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك قال: فطلب العلم قال: «فَوُلِّي قضاء مكة عشرين سنة، قال: فكان الخصم إذا جلس بين يديه يُرْعَدُ حتى يقوم»[٢].

وهكذا حرصت تلك المرأة المسلمة على صناعة ذلك العالم وغرست في نفسه حب العلم ليكون له الفضل في الدنيا والآخرة.

ولقد حرص الصحابة والتابعون وأصحاب الحديث على تعليم الصغار فهذا الحسن يقول: «قدِّمُوا إلينا أحداثكم فإنهم أفرغ قلوباً وأحفظ لما سمعوا». وهذا سعيد بن رحمة الأصبحي يقول: «كنت أسبق إلى مجلس عبد الله بن المبارك

(١) انظر في مالك بن أنس في هذه الرسالة.
(*) الحديد الذي في أسفل الرمح.
(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ١٤١) وإسناده صحيح.

بليل معي أقراني لا يسبقني أحد ويجيء هو مع الأشياخ فقيل له: قد غلبنا عليك هؤلاء الصبيان فقال: هؤلاء أرجى عندي منكم أنتم كم تعيشون وهؤلاء عسى الله أن يبلغ بهم»[١].

وقال شوقي: [الوافر]

فـرب صـغـيـر قـومٍ عـلـمـوه
سـمـا وحـمـى الـمـسـومـة الـعِـرابـا
وكـان لـقـومـه نـفـعـاً وفـخـراً
ولـو تـركـوه كـان أذى وعـابـا
فَعلِّمْ ما استطعت لعل جيلاً
سيأتي يُحدث العجب العُجابا

وهكذا علينا غرس حب العلم وتعليم الأطفال في الصغر، حتى إذا ترسخ ذلك في عقولهم وأنفسهم طلبه الطفل طلباً ذاتياً وتحمل فيه الصعاب والمشاق وسهر الليالي في سبيله دون إلحاح الوالدين.

الوسيلة الثالثة: حفظ الطفل قسم من القرآن والسنة:

وعليك يا أختي المسلمة بتحفيظ طفلك القرآن الذي سيكون النور الذي سيضيء له طريق العلم والفلاح، فحفظ القرآن ودراسته في الصغر أصل من أصول الدين.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمد رأفت سعيد (١/ ٢٤٥).

قال الحافظ السيوطي: «تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام فينشأون على الفطرة ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال»[١].

ومما رواه الطبراني عن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ قال: «**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله**»[٢].

وهكذا فإن للقرآن تأثير سحري يدفع الطفل في كل أبواب الخير، والطفل أقوى الناس صفاء وفطرته ما زالت نقية لذلك يجب أن نحرص على حفظ الطفل القرآن في الصغر. ولنا في علمائنا الصالحين خير سلف فقد حفظ الشافعي القرآن وهو ابن سبع سنين، وهذا سهل بن عبد الله التستري يحفظ القرآن وهو ابن ست سنين أو سبع سنين[٣].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «من تعلم القرآن الكريم عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نيل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته»[٤].

---

(١) (تلاوة القرآن المجيد) للشيخ عبد الله سراج الدين.
(٢) تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان (١/ ٢٦٨) وقال المناوي في فيض القدير (١/ ٢٢٦) ضعيف.
(٣) الإحياء للإمام الغزالي (٣/ ٧٢).
(٤) تربية الأولاد في الإسلام (١/ ٢٦٩).

وكما نحرص على تعليمه القرآن يجب أن تغرس في الطفل حب السنة ونحثه على تطبيقها وحفظ اليسير من الحديث. فالقرآن والسنة من أهم الأسس التي تُكَوّن عقلية الطفل وهما مصدر إشعاع العلوم، ينيران العقل ويقوياه وإليكِ نموذجاً في حفظ الطفل للحديث واعتنائهم به قال البخاري: «ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتّاب قيل له: كم أتى عليك إذ ذاك فقال: عشر سنين أو أقل ثم خرجت من الكتاب فجعلت أختلف إلى الدَّاخلي وغيره فقال يوماً: فيما كان يقرأ الناس ـ سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم ـ فقلت إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل فنظر فيه ثم رجع فقال: كيف هو يا غلام؟ فقلت: هو الزبير وهو ابن عدي عن إبراهيم فأخذ القلم وأصلح كتابه»[1].

وهكذا بلغ الأطفال في هذه العهود الزاهية للإسلام أعلى درجة، فتقدمي يا أختي المسلمة لكي تُلحقين ابنك بركب المجد ركب العلماء الحافظين لكتاب الله وسنته والعاملين بها.

الوسيلة الرابعة: العمل على الاكتشاف المبكر لمواهب الطفل وتوجيهها.

إن علامات النجابة ومخايل العبقرة تظهر في الصغر حتى لا يكاد يشك ذو فراسة وإيمان صادق في صيرورة صاحبها إلى

(١) فيض الباري في شرح صحيح البخاري للكشميري (١/ ٣٣).

ذُرا العُلا والتربع على قمة المجد في العلم.

ولذلك ينبغي محاولة اكتشاف المجال الذي يتفوق فيه الطفل ويحبه وتوجيهه إليه، فبعد حفظ القرآن الكريم والسنة المطهرة واليسير من العلوم النافعة، نعمل على تخصيص الطفل في المجال الذي يتفوق فيه. ولقد سار السلف على هذه القاعدة ومن ذلك أن الإمام البخاري في أول أمره يحاول تعلم الفقه والتبحر فيه فقال له محمد بن الحسن: «اذهب واشتغل بعلم الحديث» عندما رآه مناسباً لقدراته وأليق به وأقرب إليه وقد أطاعه البخاري ومن ثَمْ صار على رأس المحدّثين بل وإمامهم»[١].

وروي أن يونس بن حبيب كان يتردد على الخليل بن أحمد الفراهيدي ليتعلم منه العروض والشعر فصعب ذلك عليه فقال له الخليل يوماً: من أي بحر قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فَدَعْهُ
وجاوزه إلى ما تستطيع

ولما عجز يونس بن حبيب عن الإجابة طالبه الخليل بن أحمد بتنفيذ الشطر الثاني من بيت الشعر محل السؤال[٢].

وهكذا فعلى الأم المسلمة مراعاة ميول طفلها وتوجيهه إلى أنسب الأمور.

---

(١) عن مجلة الوعي العربي سنة أولى عدد (١) عام ١٣٥٧هـ ص٣٣.
(٢) منهج التربية النبوية للطفل ص٢٣٢ والبيت من بحر الوافر.

الوسيلة الخامسة: اختيار المعلم الصالح والمَدْرَسَةِ الصالحة، وعلى الأم المسلمة أن تختار المعلم الصالح القادر على صباغة طفلها ومساعدتها في صناعته كعالم، بحيث يكون في هذا المعلم كل شروط القدوة. وهذا غير مُيسر في هذه الأيام ولذلك علينا بأن تختار المَدْرَسَة الصالحة التي تغرس في الطفل حب الإسلام وحب القرآن والسنة.

وقد اهتم السلف باختيار المُعَلِم الصالح، ومن ذلك أن عتبة بن أبي سفيان قال لمؤدب ولده: «يا عبد الصمد: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك فالحَسَن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت وعلِّمهم كتاب الله ولا تستكرههم عليه فَيَمُّلوه ولا تتركهم منه فيهجروه وروهم من الشعر أعفّه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلةٌ للفهم وتهددهم بي وأدبهم دوني، وكُنْ لهم كالطبيب الرفيق لا يضع الدواء إلا بعد معرفة الداء وروّهم سير الملوك وجنبهم محادثة النساء ولا تتكلن على عذرٍ مني فإني اتكلت على كفاية منك».

ما أبلغ هذه النصيحة أن يتعلمها كل معلم علَّق الله في رقبته تعليم أولادنا في مدارسنا المختلفة وصدق من قال: [الكامل]

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلَّا لنفسك كان ذا التعليمُ

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيمُ
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
أبداً وأنت من الرشاد عديمُ
فابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ

وهذه الأبيات يحب أن يعمل بها المعلمون في مدارسنا وكذلك الأب والأم فلا تكون إلا قدوة حسنة يقتدي بها ولدها في العلم والأدب. وذات مرة رأى المفضل بن زيد... ابن أعرابية مسلمة فأعجب بمنظره فسألها عنه فقالت: «إذا أتم خمس سنوات أسلمتُه إلى المؤدّب فحفّظه القرآن فتلاه وعلّمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وطلب مآثر آبائه وأجداده فلما بلغ الحلم حملتُه على أعناق الخيل فتمرّس وتفرّس ولبس السلاح»[1].

الوسيلة السادسة: اتقان الطفل اللغة العربية.

إن اللغة العربية لغة القرآن هي مفتاح كل العلوم، وكلما قوي الطفل في اللغة كانت قوته سبباً في الخوض في أي علم من العلوم التي يرغب في تعلمه وأحب أن يكسبه. واللغة العربية حفظها السلف الصالح وكانوا يُربون أولادهم في البادية حتى لا تضطرب لغتهم، وقد اهتم النبيﷺ بتعليم النشىء هذه

(١) تربية الأولاد في الإسلام عبد الله ناصح علوان (١/ ٢٦٩).

اللغة، ومما جاء في ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة»[١].

ولقد كان خطأ الطفل في لغته يحز في نفوس الصحابة كما أنه كان سبباً في تقعيد قواعد للغة حتى يتعلمها الأطفال خشية استفحال عُجمة اللسان، ومما جاء في ذلك»:

رُوي عن ابنة أبي الأسود الدؤلي قالت له ذات يوم: ما أحسنُ السماء؟ فقال: نجومُها، فقالت: ما أردت ذلك وإنما أردت التعجب بعظمة السماء وليس السؤال عما فيها، فكان عليها أن تقول ما أحسنَ، فتوجه أبو الأسود للإمام علي كرم الله وجهه وأخبره بذلك فرفع الإمام له أوراقاً وطلب منه تقييد قواعد النحو[٢].

وقال أبو الحسن الماوردي منبهاً إلى أهمية تعليم الطفل اللغة العربية وإجادتها فيقول: «فإذا بلغ التأديب والتعليم فالوجه أن يبدأ بتعليم القرآن مع اللغة العربية، لأنها اللغة التي أنزل الله بها كتابه وخاطب بها في شرائع دينه وفرائض ملته، وبها بلّغ رسول الله ﷺ سنته، وبها أُلفت الكتب الدينية والحكمية والجدية والهزلية، وبها تُكتب رسائلهم والصكوك التي جعلها الله وثائق بينهم فلا بد للناشىء في هذه الملّة من

(١) الحاكم في المستدرك (٢/ ١٤٠).
(٢) شرح زيني دحلان لمتن الآجرومية.

تعلمها وإلا كان جاهلاً بالدين منقوصاً في الملل»[١].

وهكذا فعلينا الاهتمام بتعليم الطفل القرآن ولغته ليشب محباً لهما ويكون ذلك أهم مفتاح لطلب العلم وأهم الدوافع لتحمل المشاق في سبيله.

الوسيلة السابعة: ربط الطفل بالمسجد ودروس العلم فيه.

المسجد هو الصرح الذي يبني الأجيال تلو الأجيال من العلماء، ولقد كان وما زال هو المصدِّر لأجيال باعوا أنفسهم لله وساروا على منهجه يدافعون عنه وينشرون علومه. لهذا عني أطفال الصحابة بالصلاة في المسجد، وطالب النبيﷺ أئمة المساجد أن يخففوا من الصلاة رأفة بالأطفال الأمر الذي يدل على جواز صلاة الأطفال وأخذهم للمسجد وأهمية ربطهم به لكي يشبوا مرتبطين ببيوت الله ولكي يتلقوا في جنباته العلوم النافعة. وما زال الجامع الأزهر حافل بحلقات العلم التي طالما تخرج منها علماء نابهين قادوا الأمة إلى التقدم وإلى المجد. ويقول الشيخ أنور الكشميري: «قلنا إن المسجد الذي خرّج أطفال الصحابة والسلف الصالح قادر أن يخرج أمثالهم إذا وجه الآباء والأمهات أطفالهم نحو المسجد ترغيباً لا تنفيراً وتحبيباً لا تقبيحاً وتشجيعاً لا تخذيلاً[٢].

ولذلك يجب أن ندفع أطفالنا إلى المساجد، وكذلك

---

(١) نصيحة الملوك ص١٦٨.

(٢) فيض الباري على شرح صحيح البخاري (١/ ٢٣٠).

يجب على الكبار أن ينصحوا الأطفال في المسجد نصحاً لطيفاً برفق ولين حتى لا ينفر الأطفال من المساجد وحضور الدروس العلمية فيه وصدق من قال: [مجزوء الكامل]

لا يُصنع الأبطال إلا
في مساجدنا الفساح
في روضة القرآن في
ظل الأحاديث الصحاح
شعب بغير عقيدة
ورق يذريه الرياح
من خان «حي على الصلاة»
يخون «حي على الكفاح»

الوسيلة الثامنة: المكتبة المنزلية الصوتية والمقروءة في المنزل.

إن المكتبة المنزلية من أهم الوسائل التي تدفع الطفل للعلم وتساعده في طلبه. والمكتبة الصوتية اليوم من الأشرطة النافعة والديسكات التي تُعرض على جهاز الكمبيوتر من أهم الوسائل التي يمكن من خلالها توجيه الأطفال لحب العلم عبر البرامج المعدة لهذا الغرض، والتي تعرض للطفل مبادىء اللغة والعلوم من قرآن وحديث وتفسير وسيرة وغزوات بصورة مبسطة، فعلينا الحرص على ربط الطفل بتلك المكتبة الصوتية، وتعليمه لغة الكمبيوتر لأنها لغة العصر ولأن الكمبيوتر هو البديل الإسلامي لجهاز التلفاز الذي يحمل في طياته أخطار

تهدد عقيدة الطفل وبناءه العلمي كعالم رباني.

ولذلك على الوالدين توفير الأشرطة اليسيرة أو الديسكات الكمبيوترية التي تساعد في تعويد الطفل على حفظ القرآن والعلوم المختلفة.

وقد نبه الإمام حسن البنا في رسالته ـ أنجع الوسائل في تربية النشئ تربية إسلامية خالصة ـ فقال: «وأذكر كذلك ضرورة احتواء المنزل على مكتبة مهما كانت يسيرة إلا أن كتبها تختار من كتب التاريخ الإسلامي وتراجم السلف وكتب الأخلاق والرحلات الإسلامية والفتوح ونحوها، ولئن كانت صيدلية المنزل ضرورية لدواء الأجسام فالمكتبة المنزلية الإسلامية ضرورية لإصلاح العقول، وأن يحول الأبوان دون تسرب الكتب الهازلة والصحف الماجنة إلى ابنهما لا بالمنع والتهديد فإن ذلك مما يزيد بها شغفه بها وإقباله عليها ولكن بصرفه إلى كتب نافعة مغرية وإثارة الميل فيه إلى هذه الناحية الصالحة»[1].

وصدق من قال: [الطويل]

وخير جليس المرء كتب تفيده
علوماً وأدباً كعقل موئد

وفي عهدنا هذا يجب أن يكون الكمبيوتر ببرامجه النافعة

(١) أنجع الوسائل في تربية النشىء تربية إسلامية خالصة لحسن البنا رحمه الله.

للطفل المسلم بديل عن التلفاز وبرامجه الضارة التي تُهدر عمر الطفل ووقته مع الاهتمام بالكتب اليسيرة، وإن كان التأثير الصوتي والمرئي أفضل من تأثيره على الطفل.

الوسيلة التاسعة: استخدام القصة ورواية طفولة علماء السلف في طلب العلم أمام الأطفال.

إن القصة تلعب دوراً كبيراً في شد انتباه الطفل ويقظته الفكرية والعقلية وتحتل المركز الأول في الأساليب التربوية المؤثّرة في عقل الطفل لما لها من متعة ولذة. قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليّ من كثير من الفقه لأنها آداب القوم» وشاهده من كتاب الله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1] [يوسف: ١١١]. وهكذا فالقصص من أهم الوسائل لشحذ همة الطفل وتطلعه نحو مستقبل علمي متقدم، ومن النماذج الطفولية لعلماء المسلمين طفولة العالم سفيان بن عيينه:

ذكر الخطيب البغدادي عن أحمد بن النصر الهلالي قال: سمعت أبي يقول: كنت في مجلس سفيان بن عيينه فنظر إلى صبي دخل المسجد، فكان أهل المجلس تهاونوا به لصغر سنه فقال سفيان: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤] ثم قال: يا نضر لو رأيتني ولي عشر سنين طولي

(١) مقدمة «صفحات من صبر العلماء» للشيخ أبو غدة رحمه الله.

خمس أشبار ووجهي كالدينار وأنا كشعلة نار ثيابي صغار وأكمامي قِصار وذيلي بمقدار ونعلي كآذان الفار اختلفت إلى علماء الأمطار مثل الزهري وعمرو بن دينار أجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة ومقلتي كالموزة وقلمي كاللوزة فإذا دخلت المسجد قالوا: «أوسعوا للشيخ الصغير قال ـ ثم تبسم ابن عيينه وضحك ـ قال أحمد بن النضر: فتبسم أبي وضحك»[١].

ومن الطفولات العلمية الفذة طفولة الإمام ابن الجوزي وطلبه للعلم:

قال الإمام ابن الجوزي عن الشدائد التي نالته في بدء طلبه للعلم وعن محامد صبره على تلك الشدائد: «ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم أَلْقَى من الشدائد ما هو أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى ـ في بغداد ـ فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء فكلما أكلت لقمة شربت عليها وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم»[٢].

وهكذا تُروى قصص العلماء بصورة مُيسرة للطفل، وقبل هؤلاء جميعاً معلم العلماء سيدنا محمدﷺ الذي يجب أن تسير مع سيرته بصورة مبسطة تناسب عمر الطفل وكل ذلك

(١) الكفاية في علم الرواية ص١١٢.
(٢) صفحات من صبر العلماء ص٧٦.

حتى يرتبط الطفل بخير قدوة عرفتها البشرية.

وهكذا عرضت لك ـ أختي المسلمة ـ بعض الوسائل التي تساعد على صناعة جيل من العلماء يُعيد لنا مجد أمتنا ويُمثل لنا خلفٌ صالح للعلماء الذين نذكر الله برؤيتهم، أو مطالعة سيرتهم، هؤلاء العلماء الذين إذا غابت نجوم السماء فإن علمهم وسيرتهم لا تغيب وصدق من قال: [الوافر]

أمرتقب النجوم من السماء
نجوم الأرض أبهى في الضياء
فتلك تبين وقتاً ثم تخفى
وهذي لا تكدّر بالخفاء

فهيا أختي المسلمة إلى النجوم والكواكب هيا إلى تربية نجم ساطع يشع بنوره، ليكون نوره وعلمه في ميزان حسناتك ويكون ذلك العلم خير ميراث يرثه منكِ:

خير ما ورَّث الرجال بينهم
أدبٌ صالح وحسن ثناء
هو خير من الدنانير والأوراق
في يوم شدة أو رخاء
تلك تفنى والدين والأدب
الصالح لا يفنيان حتى اللقاء
إن تأدبت يا بني صغيراً
كنت يوماً تعد في الكبراء

وإذا مـا أضـعـت نـفـسـك ألـفـيـ
ـت كـبـيـراً فـي زمـرة الـغـوغـاء
لـيـس عـطـف الـقـضـيـب إن كـان
رطـبـاً وإذا كـان يـابـسـاً بـسـواء